

هيئة علماء المسلمين في العراق

قسم الثقافة والإعلام

السلسلة الدعوية

[١]

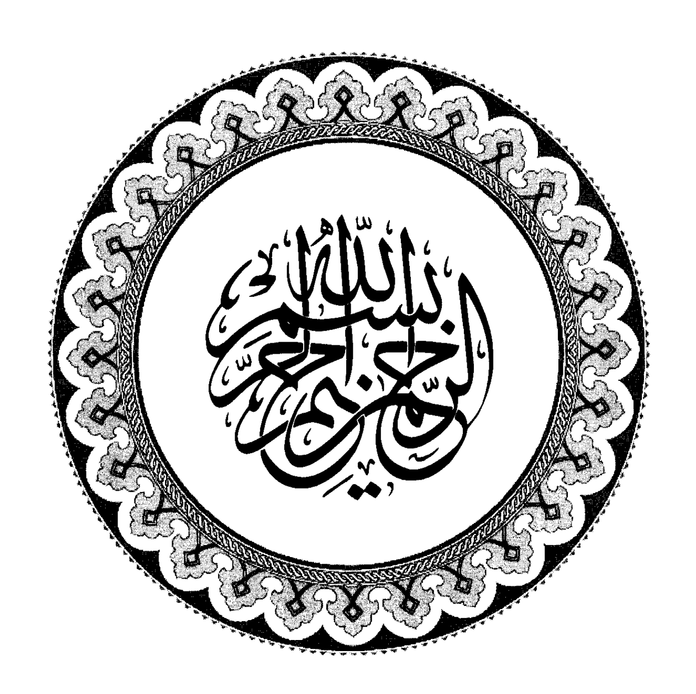
وقفات مع الحُجَّاج

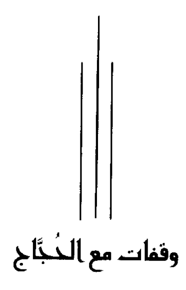
إعداد

قسم الدعوة والإرشاد

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار النهضة   مؤسسة البصائر


بسم الله الرحمن الرحيم



وقفات مع الحُجَّاج

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمةَ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين..

أما بعد:

فقد فرض الله تعالى حج بيته الحرام على كل مسلمٍ ومسلمة مستطيعين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ

﴿ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، والبيتُ الذي يشير إليه المولى في الآية الكريمة هو ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران ٩٦].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم عليه السلام أن يُعلِم الناسَ بفريضةِ حج بيته الحرام، فقال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج ٢٧].. أما نبينا الكريم ﷺ فقد أخبر بأنَّ الحج من فرائض الإسلام الخمس، ففي صحيح الإمام البخاري أنَّ النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحجِ، وصومِ رمضان»[1]، وروى مسلم في صحيحه أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنَّ الله قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجلٌ: أكلَّ عامٍ يا

(١) كتاب الإيمان بَاب الإيمان وقول النبي ﷺ بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ :١٢/١.

رسول الله؟ فسكتَ، حتى قالها ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرةِ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيءٍ فدعوه»[1].

أيها الحجاج الكرام: لقد خصَّكم الله تعالى بهذه الفريضة العظيمة المباركة، وهيَ التي تهفو إليها النفوس، وتدمع لها العيون، بأن جعلكم من زوار بيته ومسجد نبيه ﷺ.. فلبوا نداء الله تعالى، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه..

ولنا معكم أيها الأفاضل في هذه الجزئية ثلاث وقفاتٍ مباركات، نوصي بها أنفسنا أولاً، ونوصيكم بها، لعلَّ الله أن ينفعنا وإياكم بها.. وكلُّ وقفةٍ عبارة عن وصية ربانيةٍ مباركةٍ.. تتضمن الوقفة الأولى وصيةً لحجاجنا قبل ذهابهم لأداء مناسك الحج، وتتضمنُ الثانية وصيةً لهم أثناء أدائهم لمناسكهم، وتتضمنُ الثالثةُ وصيةً للحجاج بعد أداء

(١) كتاب الحج: بَاب فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً في الْعُمُرِ: ٢/٩٧٥.

مناسكهم وعودتهم إلى أهليهم سالمين غانمين إن شاء الله تعالى، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد والهداية والرشاد، إنه سميع مجيب.



التوبة النصوح

من المعلوم أنَّ الإنسان يتحرك وفق إرادته المتصلة بالقلب، فالقلبُ هو أساس الإرادة، وقد ورد في الأثر أنَّ القلب يصدأ كما يصدأ الحديد[١]، وجاء في الصحيح أنَّ المصطفى ﷺ كان يستغفر الله ﷻ في اليوم أكثر من سبعين مرة[٢].

وقد يفعل الإنسان الذنوب والمعاصي والمنهيَّات التي تغضب الله ﷻ.. فما هو علاج ذلك؟ وكيف تكون الوقاية من تلك المعاصي والآثام؟ والجواب أنَّ ذلك لا يتحقق إلا بالتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ المعاصي والمنكرات هي أساس بلائنا، والله جلَّ جلاله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال ٥٣].

وأصل التوبة في اللغة (الرجوع) ومعناها شرعاً: الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة.. يقول

(١) مسند الشهاب: ١٩٨/٢.

(٢) ينظر صحيح البخاري: (٦٣٠٧).

علماؤنا الأجلّاء: من رجع عن المعاصي خوفاً من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع خوفاً من نظر الله فهو منيب، ومن رجع تعظيماً لجلالِ الله فهو أوّاب.. وقد ذكر بعض الربانين: أنَّ الذنب إذا أُتبعَ بثمانية أشياء كان العفوُ عنه مرجوّاً: أربعةٌ في القلب، وأربعةٌ في الجوارح، فالأربعة التي في القلب هي: التوبةُ، والعزمُ على أن لا يعود إلى الذنب، وحبُّ الإقلاع عنه، وخوفُ العقاب ورجاءُ المغفرة عليه.. وأما الأربعة التي في الجوارح فهي: أن يصليَ أربع ركعاتٍ في المسجد، ثم يستغفرَ اللهَ تعالى سبعين مرة ويقولَ: سبحان ربي العظيم وبحمده مئة مرة، ويتصدقَ بصدقةٍ، ثم يصومَ يوماً، مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود ١١٤].

أيها الحاج الكريم، يا من خصَّك الله تعالى بالفضل والرعاية: نودُّ إعلامك بأنَّ العلماء الكرام قالوا: إذا اقترف الإنسان الذنوب والمعاصي وأراد التوبة فإنه ينبغي له أن يحقق شروطاً حتى تكون التوبة مقبولة وصادقة.. فإذا كان

الـذنب بـين العبـد وربـه، ولـيس متعلقـاً بحـق شـخصٍ آدمـيٍّ قالوا: إنَّ للتوبة عندئذٍ ثلاثةَ شروط، هي:

الشرط الأول: الإقلاع عن المعصية فوراً.

الشرط الثاني: الندمُ على فعلها.

الشرط الثالث: العزم على عدم العودة إلى هذا الذنب أبداً.

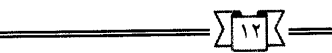
أمـا إذا كانـت المعـصية تتعلـق بحـقِّ الآدمـيِّ، فيـضاف إلى الشروط الثلاثة المتقدمـة شرط رابـع، وهـو: أن يـبرأ مـن حـقِّ صاحبها، فإن كانت المعصية -مثلاً- أخذَ مالٍ ردَّه إلى صاحبه، وإن كانت غيبةً أو نميمةً استحلَّ عفوه وصفحه، وهكذا.

فما عليك أيها الحاج الكريم إلا أن ترجع إلى الله سبحانه وتعـالى بالتوبـة والإنابـة قبـل سـفرك، حتـى يكتمـل الفـضل عنـدك، وتكـون مـن الـصالحين إن شـاء الله، ومـن أجـل أن تـذهب إلـى الـديار المقدسـة وقـد أُزيلـت عنـك أدرانُ الـدنيا ومنكراتها، فيكون حجك أدعى للقبول إن شـاء الله.. ولـذلك يقول المـصطفى ﷺ فيمـا رواه مـسلم فـي صـحيحه: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَـدَهُ بِالنَّهَـارِ

لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا »[1].

وفي الحديث القدسيِّ، فيما رواه الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ ، قال الله ﷻ: « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله ليعجب من العبد إذا قال لا إله إلا أنت إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: عبدي عرف أنَّ له ربّاً يغفر ويعاقب»[3].



(١) كتاب التوبة: بَاب قَبُولِ التَّوْبَةِ من الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتْ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ: ٢١١٣/٤.

(٢) سنن الترمذي: ٥٤٨/٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ١٠٨/٢.

الإخلاص والامتثال

إنَّ أي عملٍ من أجل أن يكون مقبولاً لا بد أن يتوافر فيه أمران أساسيان، هما: الإخلاص لله تعالى والامتثال والاتباع.

فالإخلاص لا يتحقق إلا بأن يُبتغى بالعملِ وجه الله تعالى، ولا يُقبلُ إلا إذا كان موافقاً للشرع الحنيف، وقد قال العلماء: إنَّ هذا المعنى مقتبسٌ من قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك٢] فالمراد بالعمل الحسن: الخالص الصواب، كما قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه الكرام عندما أرادوا الحج: «خذوا عني مناسككم»[1]. فعلى كل حاج كريم يريدُ أن يقعَ حجه صحيحاً، ولا يذهب تعبه سدىً أن يتّبع

(١) سنن البيهقي الكبرى: ١٢٥/٥، وصحيح مسلم بلفظ: (لتأخذوا مناسككم): كتاب الحج: بَاب اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يوم النَّحْرِ رَاكِباً: ٩٤٣/٢.

السنة المطهرة، وأن يستعين بأهل العلم من المرشدين، ممن لهم دراية وخبرة ومعرفة، مصداقاً لقول الباري جل جلاله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء ٧].

وعلى كل حاج كريم أن يعلم أيضاً أنَّ الرياء محبط للعمل والعياذ بالله وإلى هذا المعنى يشير قول الباري جلَّ جلاله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان ٢٣] و ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله: أنَّ أهل الرياء عوقبوا بذلك؛ لأنَّ أعمالهم فقدت الشرط للقبول، وذلك لعدم الإخلاص فيها، أو لعدم اتباعهم لشرع الله تعالى، فكلُّ عملٍ لا يكون خالصاً لوجه الله تعالى، ولا يكون موافقاً للشريعة الغراء فهو باطل مردود.

وقد أخبر النبي ﷺ فيما صح عنه بأنه إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى منادٍ: «من كان أشركَ في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده؛ فإنَّ الله أغنى الشركاء عن الشرك»[1]،

(١) صحيح ابن حبان: ١٣١/٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه فيما رواه ابن ماجه في سننه أنَّ الرسول ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»[1].

وقد ضرب العلماء العاملون على ذلك مثلاً، فقالوا: مثلُ الذي يعملُ للرياء والسمعة، كمثل رجلٍ خرج إلى السوق، وملأ كيسه بقطع الحصاة، فأخذ الناس يقولون: ما أملأ كيس هذا الرجل!! ولكنه إذا أراد أن يشتري شيئاً، لا يُعطى به شيء، فكذلك الذي يعمل الأعمال للرياء والسمعة، لا منعة له سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة.

وعلى حجاج بيت الله الحرام، أن يعلموا أنَّ النية ضرورةٌ شرعية، ينبغي التنبه لها في كل فعلٍ ونسكٍ، وقد صحَّ عن المصطفى ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته

---

(١) سنن ابن ماجه: ٢/١٤٠٥، وصحيح ابن خزيمة: ٢/٦٧.

إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

(١) أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ: ينظر كتاب النكاح، بَاب: مَن هَاجَرَ أو عَمِلَ خَيْرًا لِتَزْوِيجِ امْرَأَةٍ فَلَهُ ما نَوَى.

الاستقامة والاعتدال

إنَّ من أهم مزايا أداء فريضة الحج أنَّ الحاج يعود من حجه، وقد أُزيلت عنه أدران الذنوب والخطايا.. فهل يعقلُ بعد ذلك أن يضع الحاج نفسه في تلك الأدران، بعد أن طهَّره الله سبحانه وتعالى منها؟!

إنَّ على الحاج أن يعلم أنه مطالب بالاستقامة والثبات على منهج الشريعة المستقيمة، بعد أن رجع من حجه كيوم ولدته أمه، ولذلك صحَّ عن عمرو بن العاص ﷺ فيما رواه ابن خزيمة في صحيحه أنه لما حضرته الوفاة بكى طويلاً، وبدأ يحدِّث الجالسين عنده قصة إسلامه وهدايته، يقول ﷺ: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ابسط يمينك لأبايعك، فبسطَ النبي ﷺ يده، فقبضت يدي، فقال ﷺ: مالكَ يا عمرو؟! فقال عمرو بن العاص: أردتُ أن أشترط يا رسول الله، فقال النبي ﷺ:

تشترطُ ماذا؟ قال: أن يغفر الله لي، فقال المصطفى ﷺ: أما علمت يا عمرو أنَّ الإسلام يهدمُ ما كان قبله، وأنَّ الهجرة تهدمُ ما كان قبلها، وأنَّ الحج يهدمُ ما كان قبله!![1]

وروى ابن حبان أن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفرَ له الحاج»[3].

أيها الحاج الكريم، يا من خصَّك الله بالرعاية والعناية؛ حيث وفقك من بين مئات الألوف من الناس: ندعوك من هنا لأن تكون كالشامة بين أصحابك ومحبيك، بأن تكون قدوة حسنة لهم بعد عودتك من مناسك حجك، وأن تكون داعية

---

(١) ينظر صحيح ابن خزيمة: ١٣١/٤.

(٢) ينظر صحيح ابن حبان: ٦/٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٦٠٩/١، وسنن البيهقي الكبرى: ٢٦١/٥.

خيرٍ وبرٍّ وفضيلةٍ، وندعوكَ أن تكـون مفتاحـاً لكـل خيـر، وأن تكون مغلاقاً لكل فجور وشر؛ فإنـه مـن سـنَّ سـنة حـسنة فلـه أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سنة سـيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.



رسالة المحرومين

المحرومون: هم أولئك الذين لم يُوفقوا لأداء هذا النسك العظيم؛ بسبب الحوادث والموانع المختلفة..وهذه الرسالة تؤكد على أنَّ الذي يُمنع من الذهاب لا تزال الفرصة أمامه، وقد يعبِّر من خلالها عن مشاعره تجاه تلك البقاع الطاهرة.

أقولُ : يا أيها الحاج الكريم، إذا لبست ثياب الإحرام، التي من أعظم حكمها أنك تتذكر بها كفن الموت.. إذا لبستَ تلك الثياب، فتذكر أنَّ لك عشرات الأخوة يُلفُّونَ يومياً بمثل هذه الثياب البيض، ممن يودعون الحياة؛ نتيجة التعسف والعدوان والظلم والقهر الذي يصيب أبناء العراق.. وعندها نطلبُ منك وأنت تتذكر ذلك أن تدعو الله سبحانه وتعالى أن يفرِّج كربة العراقيين، وأن يكشف غمَّهم، وأن يرفع الظلم والأذى عنهم.

وإذا طفت بالبيت العتيق، فاعلم أنك تطوف بأطهرِ وآمن بقعة على هذه المعمورة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة

١٢٥]، فتذكر عند ذلك أنَّ إخواناً لك في العراق يعيشون في ظلٍّ خوفٍ طويلٍ ورهيب، تفرضه عليهم قوى الشر والرذيلة.. فادعوا الله عندها أن يُنعم على أهل العراق بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وإذا سعيت بين الصفا والمروة، فاذكر الله تعالى كثيراً، وتذكر عندها وأنت حرٌّ مطلق، أنَّ هناك مئات الألوف من أبناء الرافدين من يتحسرون على الخروج حتى من منازلهم؛ بسبب ما يحلُّ بهم من غدرٍ وعدوانٍ همجيٍّ أثيم.. ونوصيك عندها أن تدعو الله تعالى بأن يفرِّج عن العراقيين ما هم فيه من الفتن والمحن، ما ظهر منها وما بطن.

أما إذا انتقلت من مكة إلى منى، بكل حرية وإرادة، فتذكر عندها أنَّ لك أخوة في العراق الأسير من يعيشون وراء قضبان الظلمة والكافرين، ما أُخذوا بذنبٍ سوى أنهم رفضوا الخضوع لغير الله تعالى.. فادعُ الله عندئذٍ أن يفرِّج عن المعتقلين، وأن ينعم عليهم بالحرية، وأن يثبت المخلصين على البر والفضيلة.



وإذا تنعمت -أيها الحاج الكريم- بطعامك وشرابك وصحةِ جسمك، فتذكر أن كثيراً من أبناء بلدك من يعيش على العوز والكفاف، وبعضهم يفترش الأرض ويلتحف السماء من شدة الفقر والحرمان، مع أنَّ بلدهم من أغنى بلدان العالم.. وتذكر أنَّ لك أخوة عُذبوا أو قتلوا على يد من يدَّعون توفير الأمن والسلامة للعراقيين.. فادعُ الله تعالى عندما تتذكر ذلك بأن يحقن الله دماء المسلمين، وأن يكفيهم شرَّ الأشرار، وكيد المحتلين، وطوارق الليل والنهار.

وختاماً : نسأل الله تعالى أن يجعل حجَّكم حجّاً مبروراً، وأن يجعل سعيكم سعياً مشكوراً، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في العمل، وأن يكتب لأعمالنا القبول والرضا... والله ولي الهداية والتوفيق.



الفهرس




واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
هيئة علماء المسلمين في العراق